الكويت بين الماضى والحاضر

بقلم « ستانلى كلارك »
STANLEY CLARK

لقد زرت الكويت لأول مرة ، البلد التى تقع على الخليج العربى ، « خليج فارس » جنوب العراق ، لأشترى لؤلؤا ، ولقد أخبرت بأن إعلان الحرب واضمحلال أسواق اللؤلؤ يجعلان سعره فى متناول كل يد .

فتلك المدينة الضيقة المكتظة المحصورة خلف جدار من الطين سمكه ١٥ قدما كانت هادئة تحت وهج الشمس المحرقة وكان هناك بعض الظل فى الشوارع ، إلا أن الحركة كانت مشلولة بها ، وقد كانت تبدو لى كمدينة مهجورة ، إلا أن الحمير وطائرات الورق التى تحلق فى جوها قد أثبطا من همة ادعائى (بأنها مهجورة) . وفى داخل حوانيت تجار اللؤلؤ الباردة ، كانت تبدو الحركة والحياة ؛ فقد فتح لى أحدهم صندوقاً من الحديد وأخرج منه طبقا مملوءاً من اللؤلؤ الجميل وتناول منه عقداً ، بعدم اهتمام ، وناولنى إياه قائلا إنه يسوى عشرين ألف جنيه استرلينى ، ولقد كانت تلك هى العملة وقبل أن يبدأ الأمريكان والإنجليز فى حقول البترول ، أما الآن فإن تلك الثروة من اللؤلؤ التى رأيتها فى ذلك الصندوق الحديدى الصغير ، أصبحت لايعتد بها ، لأن حاكم الكويت سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح لديه من الدخل السنوى ما هو أكثر من مليونين ونصف جنيه سنوى من امتياز البترول وحده .

مشكلة الماء

فى عام ١٩٤٢ عندما زرت الكويت لأول مرة ، بدى لى أن ليس هناك من الأسباب المعقولة التى تدعو هذا العدد الكبير من السكان لأن يعيش فى هذه البقعة الجافة ، فقد تكون محلا أميناً ، وأنها نهاية طريق القوافل الصحراوية التى تأتى من بعد ألوف الأميال المربعة حيث لا شىء يسد به الرمق ، ولكن الكويت نفسها ليس لديها ما تروى به ظمأها سوى بعض الآبار ، وحيث يجلب لها الماء بسفن شراعية بدائية من البصرة .

ولكن الآن كل ذلك قد تغير ، فتوجد الثروة بالكويت على الأقل . وفى الأسواق توجد البضائع من جميع أنحاء العالم ، فالمخازن الأنيقة التى تعرض البضائع المعلبة ، والبدل الممتازة . . . والساعات السويسرية ، والمجوهرات الغربية وجميع أنواع الصابون وأدوات التجمل الفاخرة . . . فالسيارات الأمريكية تتخاطر فى شوارع البلد . والعمال يشتغلون فى توسيع الميناء الذى يوجد به حوالى عشرون سفينة ، وفى نهاية المرفأ الذى طوله حوالى الميل تقف ناقلة نفط كبيرة لشحن النفط بمعدل ثلاثة آلاف طن فى الساعة . ولكن مع ذلك يوجد بعض الأعراب الذين يقودون مواشيهم فى الشوارع ، ومع أن شوارع الحركة المهمة يدير حركتها شرطة أنيقو الملبس واقفين تحت ظلال مظلات كبيرة فى وسط الشوارع .

التعلق بالماضى

ومع أن حياة أمير الكويت قد تغيرت قليلا فإن الشيخ الذى قابلته قبل ثمان سنوات كان السير أحمد الجابر الصباح طويلا ، أسمرا ، ذا لحية ، وهو ابن عم الأمير الحالى ، وهو يعيش فى قصر أبيض متألق لا يعد ترفاً لأمير شرقى ، ماعدا غرفة واحدة ، حيث زين سقفها بصور ذات رونق وجمال يرجع عهدها إلى عصر أدورد وهى غرفة الحكم أو (المجلس)

والأمير الحالى يعيش بنفس القصر ، وهو كذلك طويل ذو أنف يشبه أنف الصقر وله نظرات حادة وهو من سلالة العائلة المالكة للكويت وهو مشغوف بالدرس ومتدين ويتعلق بعادات وملابس العرب . . .

والكويت ، عدا ، ثروتها الجديدة ربما تكون أسلم أو آمن مدينة فى العالم لحفظ الأشياء الثمينة فيقال أن باستطاعة الشخص أن يترك قطعة من الذهب بالشارع بدون أن يخاف عليها من أن تسرق ، فالأيدى ، الذابلة ، أو اليابسة المعلقة فى بعض الحوانيت لتشهد بذلك ، فإنه فى قانون البلد من سرق تقطع يده جزاء فعله .

فالأمير سمو الشيخ عبد الله يعيش عيشة راقية ، بالرغم من البساطة المحيطة بسموه ، فله عدة قصور ، وسيارات لامعة ويخت ذو سرعة مدهشة ، ولكن هذه البحبوحة لتعد

تافهة ؛ إذا قيست بشواهد ازدياد الثروة والرخاء بين شعبه .

فقبل تدفق النفط كان السكان يعيشون فى فقر مدقع بحيث لا يمكن للعقل الغربى أن يصدقه فكان التمر والخبز الجاف طعامهم ، حيث يجلبان من العراق ، أماشرابهم ، فماء آسن ، كدر يحمل بقرب من جلود الحيوانات ، وكانت القذارة تملأ الشوارع الضيقة ، والأمراض والذباب بكثرة ، وكانت هناك شبه مجاعة لكثير من الشعب .

والنفط غير ذلك جميعه ، فاليوم لدى جميع السكان أعمال ، وقد ارتفع مستوى حياتهم ، فالماء الذى يشربونه يأتى إلى المدينة فى باخرة حمولتها ستة آلاف طن ، وفى المستقبل القريب ، أيضا سوف تصبح هذه الطريقة غير ذات موضوع ، لأن سمو الأمير قد أمر بإنشاء مشروع كبير لتقطير الماء ليسد حاجات الشعب فسوف ينتج على الأقل ٦٥٠ ألف جالون ماء يومياً ، وسوف يستطيع السكان أن يشتروا عشرين جالوناً بمبلغ بنى واحد (آنة واحدة) ، وسوف تستخرج القوة الكهربائية من المشروع السابق فستجهز البلد بقوة رخيصة لتساعد على إنهاء أيام قناديل النفط الخافتة

المستشفى الأول

لقد افتتح أول مستشفى كويتى فى العام الماضى والآن لدى سمو الشيخ عبد الله خطة مشروع لإنشاء آخر ، وكذلك مصحة لمرضى السل وعيادة متنقلة للجهات النائية من الأمارة

وعندما زرت الكويت لأول مرة كانت هناك علامات ودلائل قليلة للثقافة ، أما الآن فهناك خمسة عشرة مدرسة مجهزة لخمسة آلاف طالب ، حيث يعطى بها الطالب حساء بالصباح ويزود بملابس من لايستطيع والداه أن يقوما بذلك

والشيخ عبد الله لم يسمح لثروة بلده الحديثة أن تعمى عينيه ، عن حقيقة بلده الذى سيصبح فى يوم ما مرة أخرى مملكة صحراوية ، وذلك عند نضوب منابع النفط فيها « فما منح المولى قادر على أن يسترده » كما قال سموه ، ولذلك فهو لا يألو جهدا على القيام بعمل الكثير .

فإذا تلاشت موارد البترول ، فإن ستة ونصف بالمائة وهى رسوم الجمرك على المال الوارد ، هى موارد الدولة الوحيدة . ولكن لابد من زمن طويل قبل أن تصل الأمارة إلى هذه النقطة ، فإن سموه سيكون قد جعل منها بلداً حديثة ، وسيكون الماء قد حول هذه الصحراء إلى أرض خصبة مرة أخرى كما كانت بالأيام الغابرة .

« تعليق البعثة »

«هذا مقال نشرته جريدة (Times of india) فى عددها الصادر بتاريخ ٢٢ / ٧ / ١٩٥١ فى بومباى ، وقد هالنا ما رأينا فيه من تشويه للحقائق ، ومسخ للواقع ، وعز علينا أن لا يطلع عليه قراء « البعثة » الكرام ليعرفوا مدى ما يصل إليه التفكير الغربى — أحياناً — من سطحية مادية مالية محضة ؛ لهذا آثرنا ترجمته ونشره على صفحات « البعثة » ليرى القارىء كيف تفكر ، وتتصور ، وتكتب هذه العقلية الغربية لا سيما بالمواضيع الخاصة بالشرق . فهذا الكاتب الذى دبج يراعه هذا المقال ، من يدى ؟ لعله فى صدد تأليف كتاب كبير عن بلادنا ، أو عن بلاد الخليج ، أو غيرها من البلاد العربية ، مملوء بالمعلومات ، ومزوداً بالاحصاءات التى نرى نموذجا ليس بالكبير منها ، ونحن بهذا التعقيب لا نريد أن نناقش آراء الكاتب لأن أغلبها خاطىء ، وخاصة ما كان منها متعلقاً بالماضى ، — الماضى القريب — ففى عام زيارة الكاتب الأولى للكويت عام ١٩٤٢ ، كانت البلاد تتمتع برفاه ورغد بسبب الأعمال ، ورواج حركة التجارة والملاحة ، وما تدرهما على البلاد من الخيرات ، لكن « حضرة » الكاتب يتجاهل هذه الظواهر ، ولا يريد أن يعزى انتعاش الكويت إلا إلى النفط وما درره من أموال على الحكومة ، ولولاه لما كانت هذه المشاريع الحكومية ، وماهى عليه من نشاط . ونحن لا نريد أن نقول أن النفط لم يقم بأى شىء ، ولكن أيضاً ليس كل شىء ؛ فهذا النشاط فى البلاد ، وفى المشروعات ، وفى الإداراة الحكومية يتمشى مع تطور الزمن الذى نعيش فيه ونحن مع هذه المشاريع لا زلنا فى مؤخرة القافلة التى تركض ركضا مع سرعة العصر ؛ وإذا كان النفط قد عمل الكثير لنا ، فقد عمل لمحتكريه الأكثر ، وإذا كانت الشركات المحتكرة تجود على أصحابه بلقمة قد تبدو للجائع مشبعة فما هى فى الواقع إلا فتات المائدة الضخمة الشهية ؛ مائدة السادة . وإذا كان « حضرة الكاتب يتبجح ويدعى أن البترول قد جلب العمل والطعام والرفاه إلى البلاد ، فليلق نظرة سريعة على صافى أرباح الشركة المحتكرة ، ليرى ماذا جلبت أرباح نفطنا على الشركة من أموال . . . إننا أقل الناس استفادة من معدننا ، فقد تدفق علينا ولم نكن على استعداد له فغزتنا جحافل الأجانب من الذين

(البقية على صفحة ٣١)